



## أحمد تيمور باشا

بقلم السيد خير الدين الزركلي  
مؤلف كتاب «الاعلام»

الاسرة التيمورية في مصر ، كردية الاصل ، قدم جدها الاول تيمور بن محمد بن اسماعيل بن علي كرد ، من الموصل ، في عهد محمد علي باشا الكبير ، واتصل به اتصالاً وثيقاً ، فكان من قادة جنده ومن كبار ولاته . وفي عهد المنصور له الخديوي اسماعيل باشا عُرف اسماعيل تيمور باشا بن محمد بن تيمور ، والد صاحب الترجمة ، بفضل وسبل ، قولى رئاسة الديوان الخديوي وكان من خاصة صاحب الامر بمصر

وقبل وفاة اسماعيل تيمور باشا ، بنحو مائة يوم ، ولد له نافعة التيموريين « أحمد » المترجم له . فهو اذن أحمد بن اسماعيل بن محمد بن تيمور بن محمد بن اسماعيل بن علي كرد لشأ أحمد يتيماً ، ربته اخته الشاعرة الادية عائشة عصمت وزوجها محمد بك توفيق . وأدخله مدرسة « مرسيل » الافرنسية ، فكث فيها بضع سنين . وشُغف بأداب الريية فاقطع لها ، وشُغل بها عن مواصلة الدرس في المدارس العالية التي كان أترابه يتقلون اليها بعد مجاوزهم صفوف مدرسة كرسيل

فكانت مدرسته بعد ذلك داره ، تلقى فيها مبادئ النحو والصرف والفقه والمنطق وما كان يترثه الشيوخ في ذلك العصر ، فدرسته اشبه بدراسة الازهرين اليوم ، وقبل اليوم . وانهت به هذه الطريق الى التعرف بشيوخ الادب العربي واكابر علمائه من معاصريه ، فبعد أن تأدب على يدي الشيخ رضوان بن محمد الخليلي ، تاشبأ ، وبعد ان لازم الشيخ حناً الطويل ، زمتاً ، تعرف باسم اهل اللغة الشيخ محمد محمود البركزي الشنيطي ، ومفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده ، والعلامة الشيخ طاهر الجزائري ، فاخذ منهم واستفاد منهم ، واقامت دائرة جلوسه فكان يتهجماً لاهل العلم والادب من المصريين وزيلاء مصر وتعلم التركية وشيئاً من الفارسية فكان يستعين بهما على الرجوع الى بعض كتبها فيما يحتاج اليه من تحقيق كلمة لنوية أو واقعة تاريخية . ولم أره في اجتماعاتي به رحمة الله يكثر من معاودة المصادر الافرنسية مع معرفته بهذه اللغة واقتائه بعض النيسم من كتبها

وانصرفت عزمته في بدء شبابه الى جمع قائل الكتب ، ثم كانت محمل اليه مخطوطاتها من الاساتذة والمغرب والحجاز واليمن والشام وال عراق ، وازداد غرامه بها فلم يكن يتصل

به بأكتاب غريب في الادب أو التثنية أو التاريخ الا اسرع لشرائه أو استنساخه أو نقله بالفيو طوشراف . وقد استحضر بالطريقة الاخيرة مجموعة نادرة من محفوظات الخزانة الكبرى في باريس ورومة وثينة والاساتنة وغيرها ، اطلمت على بعضها عنده ، تألفت مكتبته التي تُعدّ بقيمتها العظيمة من نظائر دار الكتب المصرية في القاهرة والمكتبة الظاهرية في دمشق ، بل ربما كان في الخزانة التيمورية ما ليس في هاتين وأما لها من خزائن الشرق العربية . وليس في انقول انها اخذت على حدة عشر ائف كتاب أو أكثر كبير فائدة في الدلالة على قيمتها لان انكتب تقوم بقاسها لا بمددها

وما اقتصرت منه على اختيار الكتب وجمعها ، كما هو دأب الكثيرين ، بل أودعها من عديد وتحقيقه أترأ خالداً ، فأثبت في كل كتاب طالعه منها ، وما أكثر ما طالع منها ، تصنيفات وتلبيات لو جمعت — وهي حرية بالجمع — فكانت كتاباً جليلاً هو في حسابي من افضل ما يدل على مبلغ كاتبها من علم بأدب العربية وتاريخ الامم والحضارات الاسلامية

وكان على ما بين أمرته والبيت المالك ، من اتصال قديم ، سبباً عن حب المنصب ، زاهداً في كراسي الدواوين ، وقد وجهت اليه رتبة « باشا » وعين عضواً في مجلس الشيوخ قبل الرتبة ودخل المجلس ، ولكنه ما برح يملس الوسائل لخروجه من المجلس محتفظاً بطف من عينه الى ان استقال في هذا العام ، وحوّل الساعات التي كان يقضيها فيه الى جمعية الهداية الاسلامية ، واستُخِبَ عضواً في مجلس ادارة جمعية الشبان المسلمين ، وهو أحد مؤسسيها . اما الاعمال العلمية فكان يُقبل عليها سروراً ، منشرح الصدر ، فاختير عضواً في مجلس ادارة دار الآثار العربية ، وعضواً في الجمع العلمي المصري وعضواً في الجمع العلمي العربي بدمشق ، فأفاد دار الكتب بتوليه النظر في كثير مما طبعته ولا سيما الاجزاء التي صدرت في السنين الاخيرة من كتاب « الاغانى » اذ كانت تعرض عليه صفحاتها قبل طبعا ، وأمدّ المحبين العلمين بكثير من ثمار تنقيته في متون اللغة والادب . وفي مجلة الجمع العلمي العربي من رسائله ومقالاته نموذج طالع من اتساع اطلاعه ودقة تحقيقه ، نشر مثله في كثير من المجلات والصحف كالتزهراء والمقتبس وغيرها

فلمرحوم احمد تيمور باشا كان أديباً ، عالماً بمادة لغته ، قديراً على حل مشكلاتها ، محققاً لاصولها ، متبحراً في أدبها ، واسع الاطلاع على تاريخي العرب والاسلام كثير الغاية بأثارها وكان من أخص صفاته في البحث والتأليف أنه لا يصنف الكتاب لشبهوة التصنيف ولا يكتب ليقال كتب تيمور ، وإنما يجمع الغريب مع أشباهه ، ويضم الشاردة الى نظيراتها ويصيد طرف الموضوع فيبيده في اوراقه ، ويترك ذلك كله للزمن ، ثم يعاوده كما سحنت

له فيه فكرة أو اتفاق له جديد يتعلق به ، لا تتعجبه الرغبة في النشر ولا يرضيه إخراج الرأي قبل وثوقه بتوضحه ، فقلّ لهذا عدد ما طبع من كتبه ، وظلّ جُلّ ما صحفه حبيس خزائنه : هذا كتاب ينتظر أن يقع له ما يضيفه إليه ، وتلك رسالة ينقصها جانب من جوانب البحث . وذلك مقال يترقب الظفر بما يحقق رأياً فيه . ولو نسى لغير تيمور ما نسى له من المراجع وسعة نطاق العلم في الشؤون التي اهتم بها ، لطلع على الناس كل يوم بمجديد أو شبه جديد ، ولكن تيمور كان حريصاً على أن يكون أثره تاماً وعملاً كامل التحقيق مستوفى أطراف البحث ، هذه حقيقة فيه ، من جهلها أنه بقلّة الانتاج وما كانت الرسائل الصغيرة المطبوعة كـ « قبر السيوطي » و « الزيدية ومنشأ نحلهم » و « العلم الثماني » و « الرتب والالقباب » و « المذاهب الأربعة » و « تصحيح القاموس » و « تصحيح لسان العرب » وأمثالها مما نشر له ، بدالة على ما رواه صدره من علم حجم ، وما كتبها لتكون « رسائل » تعرض في صف المصنفات ، وأما هي « مقالات » دعت إليها مناصبات ، أو « نائس » من دقائق التاريخ ضمنها على الطي ولم يرها من الجلالة بحيث تدخر ليوم الظفر بنمات لها فتكون كتباً ، فنشرها في إحدى المجلات — وأكثرها في الزهراء — واستخرجت فطبع كل منها على حدة ، فكانت « رسائل »

أما الكتاب الذي كان يكتر من تعهده وتهذيبه فكتابه « معجم الالفاظ السامية المصرية » وما من شك في أن بحثاً كهذا يتعدى استقصاؤه ، إذ الزيادة فيه كل يوم ممكنة وما دام مؤلفه يستمع الى العامة جاؤوه في كل حديث بطريف حديث . ومن كان شأنه ك شأن تيمور لا يتعدى الكتاب اهلاً للنشر حتى يتقد أو يتلب على ظنه أنه استكمل مادته ، لم يجيب منه إذا أقعد السمر فيه مزيداً كما تحديته يضمها إليه أو تسييراً للنظريات عليه . وقد بقي « معجمه » هذا مخطوطاً لم ينشر منه غير امثلة بثها الى مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقية على أن جهوده لم تنحصر في معجمه هذا ، بل كان دأبه فيه كدأبه في كتب اخرى منها « اعيان القرن الثالث عشر والرابع عشر للهجرة » و « ذيل طبقات الاطباء » و « التصور عند العرب » و « حياة المرعي وعقيدته » و « الآثار النبوية » و « معجم الفوائد » وكلها ، كما تدل عليه اسمائها ، بعوزها الصبر والبحث

وكان عليه الرحمة ، وقوراً طويلاً الصمت ، فيه تواضع ولين ، متجافياً عن الناس ، يمرض البحث في مجلسه فان كان بعيداً عن مكتبته ، والكلام في اللغة أو التاريخ ، تريث لا يقول كلمة الا مطلقاً ، مخافة الزلة — ولعله به اعلم جلساته — وان كانت مكتبته تحت مناوئل يده اسرع اليها ، فنجذب كتاباً يحل به الفاض او بوضع الاشكال ، القوم تناقشون فيه

لم اسمه - وقد جانته كثيراً - بشر الى بحث كنبه او رأي نشره او كتاب انفه . وكنت احب منه الكرم بما يعلم ، جعلت لنفسي يوماً في الاسبوع ازوره في عند الاصيل ، فأمك ماثنين او ثلاثاً ، اراجح كتباً او استوفى موضوعاً ، فاعرف قصدي حتى كان اسرع مني الى ما اريد ، يهديني الى المرجح ، واذا لم يكن الخادم جاءني هو بالكتاب ، وما ادمى اختصاصه اياي بهذا وانما هو في جوار مكتبته غيره في بيده عنها .

وما زلت اذكر له لإلقاءه بين يدي قطراته ومذكراته يوم بداله اني ابحث عن تراجم المتأخرين ، وقد طاصر بعضهم وبادلهم الترجمة على طريقة علماء السلف ، فكانت لي منها فوائد كثيرة لو التمت لها وسيلة أخرى لا عياني تطلبها . وفي البعداء عن مصر من يعرف من فضل تيمور اكثر مما يعرف أهلها . يكتب اليه احدم بمباشرة تأليف كتاب او تحقيق حادث ، فلا تصل اليه كلمته حتى ينض فيخار له من مكتبته مراجع قد تكون معدومة النظر ويمت بها اليه ميئالاً له مواطن الفائدة فيها . وكثيراً ما رأيت ينقل بخطه صفحات من مذكراته او كتبه ويرسلها الى مستلم او سائل . فإناش تيمور لنفسه ولا لبداه ، وانما طاش للظم ولكل عالم ومتمم بكتابه او يستين به .

واخذ من ثروته معاوناً على الخير ، الا أنه كان يخصص يرمه طائفة ممن يعلم فيهم الفاقة او الحاجة من المستورين . وكان يتفقد في كتابان ما يلقيه في ايديهم او يدسه في جيوبهم ، لا يرضيه ان يعلم به احد . رويت لي عنه أخبار من هذا النوع ، منها وضع ورقة بيضاء جيبه في جيب رجل علم أنه في اضطرار اليها ، ولما افترقا ورأى الرجل ما أهنته يد تيمور أسرع اليه يريد أعادتها ، فأجابه بحزم أنه لا يحب ان يسمع منه او عن لسانه كلمة بشأنها . وآخر ما قل الي ان في الليلة التي توفي بها كان يفكر في ان يضع عن مستأجري بعض اطيانه شيئاً مما عليهم له ، يخفف به ما سهم من ازمة القطن .

أما حياته في بيت فكان لبنيه الثلاثة (اسماعيل بك ومحمد بك ومحمود بك) اتقى ما يمنح أب أبناءه من حرية ، وانما جعل لهم ذلك بعد ان استوفى من صحة تربيتهم وأخلاقهم . وتوفيت والدته سنة ١٣١٧ هـ (١٩٠٠ م) بعد عشرين من اقترانه بها ، فلم يشأ ان يتفص عليهم عيشهم بغيرها ، فعاش بنية عمره منفرداً . وأراد المرحوم السلطان حسين أن يصاهره فيزوجها بانية له ، فقلب حبه لاولاده على حبه لنفسه . وتوفيت اخته المريية له ووالدته ، في نصف شهر واحد من سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) فكان لفقداه از كبير في نفسه اشتد يفقده أحد أبنائه المرحوم محمد بك . وأصيب بمرض في القلب كانت تعاوده يومئذ الى ان توفاه الله به في جوار مكتبته بالقاهرة .